غسان الجباعي المطرود من فردوس المديرية العامة للمسارح والموسيقا:

سيعيدون قتل أي مثقف يُفكر... كما قتلوا السهروردي

دمشق ـ «القدس العربي»

من أنور بدر:

غسان الجباعي من الأسماء المسرحية الهامة في سورية، درس المسرح في الاتحاد السوفييتي (السابق)، وعاد الى السجن حيث أمضى قرابة عشر سنوات من العطالة المفروضة قسراً، لكنه حاول الاستفادة منها قدر الامكان، كتب بعضاً من مجموعته «أصابع الموز» وقرأ كثيراً، وحاول أن يلعب في المساحة المتاحة له ما بين السجان والسجين، فبنى بعضاً من الفضاء المسرحي الذي استعاده لاحقاً في مسرحيته «السلالم» وسواها.

عاد اثر خروجه من المعتقل الى خشبة المسرح والى الأدب، وكلاهما حرفة لا تغني من جوع، لكنه المثقف الذي لا يستطيع أن يخرج من جلده. وربما لذلك لم تستطع مديرية المسارح والموسيقا أن تتصالح معه ومع اضرابه من الفنانين، فأوقفت مسرحيته «السهروردي» واستبعد مع الكثيرين من مهرجان دمشق المسرحي.

حول الملابسات التي أحاطت بالسهروردي وبالمهرجان الموؤود كان لنا في «القدس العربي» هذا اللقاء مع المخرج والكاتب غسان الجباعي:

■ لماذا أوقف عرض «السهروردي»؟

■ ما يدهشني أن هذا العمل كلفت به من قبل مديرية المسارح للمشاركة به في احتفالية «حلب عاصمة الثقافة الاسلامية»، حيث اتصل بي مدير المسارح والموسيقا حينها، السيد جهاد الزغبي قائلاً ان لديه نصاً للكاتب عبد الفتاح قلعجي باسم «اللاز وردي» فسألته من يكون «اللازوردي»؟ هل تقصد «السهروردي»؟ فاستدرك : نعم «السهروردي»، وكنت أتساءل ألا يجدر بمدير المسارح أن يكون مطلعاً على نتاج فيلسوف عربي اسلامي كالسهروردي، لكن المشكلة أنه لا يعرف حتى اسمه.

طبعاً أخذت النص الذي حاول فيه الكاتب أن يضيء مذهب الفيلسوف والصوفي السهروردي فأجريت له اعداداً، ليصبح مشروعاً للعرض، وأحلته الى مقولة واحدة فقط، أن هنالك رجلاً حاول أن يفكر فقُتل، ولم أكن اعتقد أن هذا المنطق ممنوع.

بعد جهد جهيد مع الرتابة والروتين البيروقراطي خرج العرض، وقد زارنا الزميلان العزيزان جهاد الزغبي مدير المسارح وهشام كفارنة مدير المسرح القومي كما لو كانا يشكلان لجنة رقابة، وكانت لهما بعض الملاحظات على العرض:

1 ـ حبذا لو لم تُشر الى أن صلاح الدين الأيوبي هو من أمر بقتل السهروردي.

2 ـ حبذا لو لم تُظهر المشايخ بهذا التزمت والقسوة، مع أنهم هم الذين حرضوا على قتل السهروردي.

وكان رأيي بأنني لست ضد المشايخ أو ضد صلاح الدين الأيوبي، لكنني أتعامل مع حقائق ووقائع تاريخية موجودة، وكل كتب التاريخ القديم تُقر أن صلاح الدين الأيوبي هو الذي أمر ابنه الملك الظاهر غازي بقتل السهروردي، فهل تريدون مني تزوير الحقائق؟

أنا يؤسفني جداً الكذب، فمدير المسارح الذي رأى العرض، يقول ان الوزير هو الذي أمر بوقفه بعدما قرأ مقالاً صحافياً لنادر أصفهاني، يقول فيه أن هذا العرض يُسيء لمدينة حلب! فهل يجوز أن يعتمد الوزير في قراره على مقال صحافي؟ ومن هو هذا الصحافي؟

ولكن حتى لو صح اعتراض الصحافي، وصح ما ذهب اليه السيد الوزير، فان السؤال الذي يبقى قائماً: من الذي قتل السهروردي اذاً؟ هل قتله أهل حلب؟ أم أن الذي قتله هو التزمت والدكتاتورية ورفض الآخر كما يقول العرض؟ ومن الذي يُسيء لمدينة حلب وأهل حلب فيما يذهب اليه؟

هكذا مُنع عرض المسرحية في حلب، لكن لماذا لم تعرض في مهرجان دمشق المسرحي؟ لماذا استبعدت لصالح «زبالة» مسرحية قدمت لضيوف المهرجان، وأنا آسف على هذا التعبير، لكنني أؤكد أنهم قدموا «زبالة» مسرحية لا تحمل أية مقولة مهمة، ولم تقدم فرجة شيقة، فهل هناك مخطط لابعاد المسرحيين السوريين عن الساحة الثقافية؟ وهل هناك مخطط لقتل أي شيء جميل في حياتنا الجميلة وفي بلدنا الجميلة؟ لماذا نسمح للقبح والخطأ أن يسيطر علينا ويطوقنا من كل الجهات؟.

أنا لا أستطيع تفسير ذلك، ولا أستطيع تفسير أن يكون مدير المسارح أو وزير الثقافة عاملين مساعدين في ذلك، وأنا الآن لا أتكلم عن عرضي فقط، اذ توجد عروض مهمة كثيرة استبعدت من المهرجان، وهناك مخرجون كبار استبعدوا كذلك، وجيء بالقبيح، فلماذا؟ هذا السؤال نطرحه على أنفسنا وعلى السلطة الثقافية في بلدنا، وحتى على السلطة السياسية ان كانت تمتلك جواباً.

■ لكن المسرحية عُرضت أكثر من مرة قبل ايقافها؟

■ نعم، عرضنا لمدة 12 يوماً فقط، وتم ايقاف العرض بشكل خبيث جداً، وهذا هو المؤلم، اذ يفاجئك هذا الممثل بأنه مشغول هذا اليوم، وغداً يغيب ممثل آخر، وفي ثالث يضطر أحدهم للسفر، ثم تبين أن مدير المسرح القومي والذي وجد أصلاً كي يُدير شؤون المخرجين والممثلين، أصبح يدير شؤونه الخاصة ويزاحمهم، فيمنع تقديم السهروردي في 21 آذار (مارس)، يوم المسرح العالمي كي يقدم عرضه هو ويستفيد بالدرجة الأولى، وعرضه هو الذي يسافر ويشارك في المهرجانات، وهو الذي يكرّم مع عرضه، أنا أعتقد أن مدير المسرح القومي هو جزء من الذين يقومون بعملية التكريم، ولا يصح أن يكرّم ذاته، كذلك مدير المسارح والموسيقا لا يجوز أن يكذب ويدعي بأن الوزير قرر وقف العرض، فيما هو الذي لا يريد له أن يستمر.

هذا العرض الذي أوقف في بدايته كلف مديرية المسارح مليوني ليرة سورية، لكننا نحن العاملين في هذا العرض «كنا عم نحط دم قلبنا» وبدون اجر تقريباً، كنا نضحي بكل شيء، لأن الثقافة في واقعنا هي تضحية قبل كل شيء، ليس من اجل أن يكذبوا علينا، فنحن لا نشتغل بالسياسة حتى نتآمر على بعض، ولا نتنافس على الكراسي والمناصب، أنا خياري الوحيد هو المسرح وليس المناصب.

■ بغض النظر عن استبعاد «السهروردي» من مهرجان دمشق المسرحي، هل تعتقد بامكانية استعادة هذا المهرجان؟

■ بالطريقة التي تمت في الدورتين السابقتين يتم قتل المهرجان ووأده بكل بساطة ولا تتم استعادته، كيف يتم شطب العديد من الأعمال المنتجة لصالح المسرح القومي ليؤتى بعروض هواة؟ كيف يجري استبعاد مخرجي المسرح القومي لصالح مبتدئين لم يسبق لهم خوض التجربة، ولم يحصلوا على الشهادة الأكاديمية، وغير مُسجلين في نقابة الفنانين؟ كيف يتربع موظفون اداريون على هرم هذا المهرجان، في حين لم نتلق نحن المخرجين حتى بطاقة دعوة لحضور المهرجان؟ كيف نرفع من سوية المهرجان عندما تنصب ادارات قزمة؟ وعندما تشكل لجان لا تمارس وظيفتها؟ وعندما تمر القرارات من تحت الطاولة؟ انه برستيج المهرجان، وليس المهرجان المسرحي.

مع ذلك التقيت بعدد من الوفود التي شاركت في المهرجان، وزارني عدد من الأصدقاء والفنانين العرب، وعبروا عن استيائهم من العروض التي استضيفت، وليس من العروض السورية فقط والتي بلغت (27) عرضاً وهي اما مُستعادة منذ سنوات أو هي عروض للهواة. حتى لجنة اختيار العروض لم يؤخذ برأيها، مما وسم المهرجان بأنه مساحة للعلاقات الشخصية والعلاقات العامة أيضاً، أنت تدعو فلاناً من الفنانين العرب وزوجته ليُعيد استضافتك في أول مناسبة في بلده، علاقات بين المدراء والوزراء والاداريين.... هناك مكاسب شخصيّة، ولا أريد الحديث عن سرقات، لأنني لا أملك معلومات في هذا الصدد رغم الروائح التي تزكم الأنوف.

تصور أن بلدية صغيرة مثل بلدية «أفنيون» في فرنسا تنظم مهرجاناً عالمياً من خلال ثلاث أو أربع أشخاص، بينما هنا يكون عدد المكلفين من وزارة الثقافة لتنظيم هذا المهرجان أكبر من عدد الضيوف. والسؤال الأساسي: لمن يُقام هذا المهرجان؟

فاذا كنت أنا كمخرج مسرحي أكاديمي، متخرج من الاتحاد السوفييتي سابقاً، وأحمل ماجستير في الاخراج المسرحي، ومدرس في المعهد العالي للفنون المسرحية، ولدي عرض مسرحي في هذا الموسم، ولا أدعى للمشاركة أو حتى للحضور، فلمن يكون المهرجان اذن؟

ثم هذه الأجيال الصاعدة التي تريد أن تتعلم المسرح، أن ترى شيئاً على مستوى المسرح، كم نسيء لها عندما نقدم لها هذا المهرجان وهذه الفوضى والتخبيص، ونقدم لها قدوة سيئة؟

أنا أحمّل ـ بصراحة ـ السلطة الثقافية في بلدنا والقائمين على هذا المهرجان مسؤولية كبيرة ليس عن سقوط المهرجان فقط، بل عن وأد المسرح في سورية.

أنا لا زلت أذكر حين كنت يافعاً ألق هذا المهرجان العظيم، حين كان عرساً لكل المسرحيين العرب، كانت الناس تأتي وتتزاحم للحضور ومشاهدة العروض، وكذلك لمتابعة الندوات. لا زالت في ذاكرتي بعض العروض كمسرحية مثل «العنب الحامض» من العراق، والتي لم أعد أتذكر اسم الممثل الرائع الذي ركع وقبل خشبة المسرح والناس تصفق له وقوفاً، لقد تابعنا في تلك المرحلة عروضاً مدهشة، كنا نراها في ذائقة عالية، لدرجة أن أي مقارنة بين حال وحال تفيدك بأن ثمة جرائم ترتكب بحق المسرح، وصرفت الملايين، يُقال (280) ألف دولار ويُمكن الزيادة، لا لنستعيد المسرح والمهرجان، بل لنصنع برستيج من العلاقات العامة، ونحقق احتفاليّة خطابيّة بلا دلالة أو معنى.

الثقافة الحقيقية فعل وطني، ولا يجوز أن تحصر بفئة من الناس، ولا يجوز أن يأخذ من هو قريب من السلطة كل شيء، في حين نحرم من حقنا في ممارسة الفعل الثقافي الوطني لأننا بعيدون عن السلطة، ولذلك كانت تعطى حقيبة الثقافة سابقاً لوزير مستقل، لكن حتى هذا التقليد تغير.

■ المسرح كفعل ثقافي يقوم على الحوار، الحوار بين الممثلين، والحوار بين الصالة والجمهور، وصولاً الى الحوار مع الآخر. هل يشكل غياب الحوار في حياتنا الراهنة أحد أسباب موات المسرح لدينا؟

■ حُكي حول هذا الموضوع كثيراً، وبشكل عام نحن نجد أن السلطة معادية للمسرح، لأن المسرح كخشبة هو مكان للحوار، واضافة لما ذكرت هو أيضاً حوار بين الفنون، هو جامع بين الفن التشكيلي والكاتب والممثل والمخرج، ولذلك يُشكل المسرح دعوة للانفتاح على الآخر، دعوة للديمقراطية وقبول الآخر. لذلك هم ينظرون الى المسرح كفعل خطير، كحامل ثقافي يُمكن له أن يُشاغب ضمن الجمهور والمجتمع، فيلجأون الى وأده، وان لم يستطيعوا ذلك عملوا على اخصائه وافراغه من وظيفته تلك.

عندما عرض المخرج التونسي «عشاق المقهى المهجور» بقيت مدينة دمشق لأيام تتحاور في المقاهي والفنادق والمدارس والمؤسسات وصولاً الى البيوت، كانت الناس تتحاور حول هذا العرض الجميل والمؤثر. وهذا يُزعج أي سلطة منغلقة، خاصة وأن العرض يحمل فكراً أو وجهة نظر، فمن يجرؤ لدينا أن يخوض في مسألة الحرية، المرأة، الحب، الحجاب... هذه المسألة الأخيرة أودت بوزير الثقافة المصري حين طالب برفع الحجاب، وعرض السهروردي أوقف لأنه كشف حقيقة أن صلاح الدين هو الذي أمر باغتيال السهروردي، وهذه حقيقة تاريخية، لكن هذه الحقيقة التاريخية طالما أنها تتعلق برمز نحتاجه في حياتنا السياسية، كان علينا أن لا نقاربه وأن لا نقارب أي حقيقة تخدش عظمته. وفي هذا الأمر خطورة المسألة من وجهة نظري، لأنها تسهم في تقديس الأشياء والرموز وفي تأبيدها بغض النظر عن الحقائق.

التاريخ هو حقل معرفي قابل للاختلاف في الآراء، وقابل للحوار، حتى أننا اكتشفنا عظمة «فان كوخ» كفنان بعد موته، وكذلك الأمر مع «أنطون تشيخوف»، بينما نحن نلغي الحوار ونؤبد الرموز ونغتال المعرفة فيموت المسرح، وتنتصر التفاهة الفكرية والفنية والادارية كما رأيت في مهرجان دمشق المسرحي الأخير، لأن المسرح فن يجمع الناس، والانسان بغريزته يحب التجمع، بينما السلطة لا تحب التجمع الا حولها.

■ رأيناك مؤخراً عضو لجنة تحكيم في مهرجان الرقة المسرحي ثم في مهرجان الثورة المسرحي، كيف تنظر لهذه المهرجانات البعيدة عن العاصمة؟

■ عندما فشلت الوزارة ومديرية المسارح بتعميم المسرح على المحافظات، وخاصة المحافظات النائية، ظهرت مبادرات محليّة في تلك المحافظات لاقامة مهرجاناتها الخاصة، لكن لاحظ معي موقف الوزارة ومديرية المسارح من عدم دعم هذه المهرجانات، من عدم ارسال عروض جيدة لها، كما لو أن هذه المحافظات النائية لا تستحق المسرح ولا تستحق بعض العروض الجيدة التي تظهر هنا وهناك، لذلك تحولت هذه المهرجانات الى مهرجانات للهواة أحياناً، يتبادلون العروض ما بين المحافظات، بعيداً عن سمع وتشجيع الوزارة التي تصرف ملايين الليرات عبثاً، وتبخل على مهرجان مسرحي حتى بالفتات.

السؤال الآخر: أين المنظمات الشعبية في هذه المحافظات من الفعل الثقافي ومن المسرح؟ كنت أفترض أن يكون في مهرجان الرقة خمسة عروض مثلاً من المحافظة، لنفاجأ بعرض يتيم، قد يقولون لك: لا يوجد مخرجون أو ممثلون أو فنيون في هذه المحافظات. وهذا غير صحيح، وان كان صحيحاً لماذا لا نقيم دورات تخصصية في هذه المجالات؟ سيجيبون: لا توجد اعتمادات، وهنا مربط الفرس.

الثقافة تتطلب انفاقاً، وعلى الدولة أن تدعم المسرح، لا يوجد مسرح في العالم الا ويقوم على دعم الدولة، لأن المسرح هو العمل الابداعي الذي لا يباع ولا يشترى كلوحة أو مسلسل درامي، واذا أرت أخذ عرض مسرحي الى بلد آخر فربما يكلف أكثر من تكلفة انتاجه الأصلية، لذلك نحن نحتاج دعم البلديات، المنظمات الأهلية، كما نحتاج الى دخول القطاع الخاص هذا الحقل، نحتاج الى رعاية وتمويل، نحتاج الى ثقافة السبونسر طالما أن الدولة كفت عن دعم هذا المسرح وتلك المهرجانات.

■ رغم غياب الدعم وتدني سوية العروض لاحظنا في هذه المهرجانات حضوراً متميزاً للجمهور قياساً بمهرجان دمشق المسرحي مثلاً؟

■ هذا طبيعي، فمهرجان دمشق المسرحي عبر عن نفسه منذ حفل الافتتاح في اليوم الأول، بل قبل ذلك بما تسرب عن سوء التنظيم واختيار العروض واللجان والوفود المدعوة و... بالاضافة الى استبعاد الناس الحقيقيين وجلب آخرين، فمن سيحضر هذه الندوات التي تقلص جمهورها الى عدد أصابع اليد الواحدة في أكثر من مرة؟

بينما جماهير المحافظات متعطشة للفعل الثقافي، متعطشة لرؤية المسرح والحوار معه ومن خلاله، لذلك كان الحضور بهذه الكثافة، وكانت متابعة الجمهور للندوات عالية، فهناك أكثر من ثلاثمئة شخص يومياً يتجشمون عناء البقاء بعد العرض ليقولوا رأيهم ويسمعوا رأي الآخرين.

وصدقني عندما يحس المرء أنه قادر على قول «لا» فهو يأتي الى المسرح، ويعبر عن رأيه، لذلك كانت رؤية الناس وهي تتدافع في تلك المهرجانات لحضور المسرح تعبيرا عن اشكالية، تعبيراً عن تقصير كبير من الدولة ازاء مسؤولياتها الثقافية وازاء هذه المحافظات النائية، تصور مثلاً أنه في محافظة السويداء يمكن ايجاد أكثر من عشرين مخفراً ـ ناهيك عن المفارز الأمنية ـ ولا يوجد مسرح واحد، الا مسارح بصرى وشهبا والقنوات الأثرية من أيام الرومان، والتي بنيت في مساحة أقل من مئة كيلو متر مربع من الأراضي التابعة لروما في ذلك الوقت.

لاحظ أن الدولة بنت الكثير من المراكز الثقافية، وجهزتها بمسارح مجهزة للخطابات الاحتفالية أكثر مما هي مجهزة لتقديم عرض مسرحي، لذلك توقف مهرجان المسرح العمالي، وذوى المسرح الجامعي، ومات المسرح المدرسي، وانتهت مسارح الأندية الثقافية منذ قرابة نصف قرن تقريباً.

المسألة الثانية أن اقبال جمهور المحافظات الكثيف على العروض المسرحية سحب البساط من الادعاء بأن الناس لا تريد مسرحاً، فهذا غير صحيح، ثمة أجيال جديدة ترنو باستمرار الى المسرح، فالجمهور بخير، لكن السؤال هل هذا الجمهور هو جمهور مسرحي فقط؟

طبعاً لا، لأن هذا الجمهور متعطش للمعرفة، والجمهور المسرحي لا يتكون الا باكتمال العنصر المسرحي الأساسي أي العرض، حيث يكون المتلقي تماماً كالمرسل، بينهما توازن، وبقدر ما يكون المسرح جميلاً بقدر ما يكون الجمهور نوعياً وأفضل وأرقى.

■ هل ترغب باضافة أي شيء؟

■ أشكرك على هذا التعب معي ومع المسرح، وأحب التأكيد فقط على أنهم مثلما قتلوا السهروردي لأنه فكر، سيعيدون قتل أي مثقف عندما يفكر، فالتفكير أصبح ممنوعاً.

المخرج غسان الجباعي

لقطة من عرض «سلالم»

لقطة من عرض «السهروردي»

تداعيات

كانت تحدث أشجارها

زياد خداش *

■ أثمة علاقة بين المرأة والشجرة؟ طلبت من تلاميذي مرة أن يرسموا امرأة، فرسم احدهم شجرة، آخرون رسموا ضبابا وبحرا وساحلا ومطرا وبابا، لم تهزني في رسوماتهم سوى الشجرة ـ لكني لم أعرف في حينها لماذا طلبت من تلاميذي أن يحولوا رسوماتهم الى جمل أو نصوص قصيرة، بينما غرقت أنا في صورة الشجرة بحثا عن امرأتي فيها أو بحثا عني أو عن أشياء مبعثرة أحسها ولا أستطيع أن احددها أو اقبض على أجزائها.

سالم: هي كائن مثل الضباب غريب ينقشع بسرعة لكنه يجدد غموضه بسرعة أيضا.

حسام: مثل البحر هي عميقة وواسعة قد يغرق فيها الرجال وقد ينجون وقد يبقون معلقين ما بين النجاة والغرق.

أيمن: مخلوق يشبه السواحل ترتاح فيه السفن أو تستعد لسفر بعيد.

عادل: انسان يشبه الباب حين نفتحه قد نرى الجنة أو النار، وقد نرى أبوابا أخرى، فتمضي حياتنا في فتح الأبواب والبحث خلفها.

أحمد: كم تشبه الشجرة هذه المرأة ولا اعرف لماذا وكيف؟

انتهت الحصة، انتهى اليوم الدراسي، انتهى العام الدراسي، ذهب الطلاب الى عطلة الأذهان، سكنت السبورة، هدأت مقاعد الصفوف، ذهبت أنا الى تمزقاتي واضطرابات قراراتي: هل سأعود الى مهنة التعليم العام القادم؟

وجدت نفسي أعود الى دنيا الرتابة مسكونا بصورة المرأة «الشجرة». نسيت متاعب المهنة من سياط الجرس الى ألم تكرار الأيام الدراسية، كان احمد يهاتفني طوال أيام العطلة، يسألني سؤالا واحدا: هل فككت لغز العلاقة يا أستاذ؟ يطول صمتي على الهاتف، فيغلق احمد السماعة كأنه يعتذر عن ارباكي. على جدران سور المدرسة العالي فوجئت بأربع شجرات مرسومات بتأن بالغ، على جذوعها وجوه أربع نساء، في الصف كان احمد يبتسم بهدوء وهو يقول لي: أحببت أن أشرك طلاب المدرسة الستمئة في البحث عن لغز العلاقة.

البيت قديم ومتهالك، بعيد عن المدينة وقريب في آن، شجر كثير حوله وكلاب، يا الهي ماذا تفعل الكلاب حول هذا البيت؟ تسكنه امرأة عجوز مجنونة، الضوء لا يعرف هذا البيت، النوافذ مغلقة دائما وباصرار، المرأة العجوز التي لا يعرف اسمها وحكايتها احد، لا تخرج من البيت الا بعد منتصف الليل، تطلق الصيحات الغامضة وتحدث أشجارها، الكلاب تخرج عن هدوئها وتطلق هي الأخرى نباحها المتواصل، تصحو الحارة، تتأفف النساء، يغضب الرجال، يخاف الأطفال، لكن أحدا لم يجرؤ بعد على الاقتراب من البيت القديم المعتم والمرأة المجنونة والكلاب.

وما علاقة هذه القصة بموضوع المرأة ـ الشجرة يا أستاذ؟

ماذا كانت تقول المرأة العجوز المجنونة للشجر؟

هل هو مفتاح لغزنا؟ لو أننا سمعنا بوضوح بعض الكلمات، لاقتربنا من الحل. لكن أحدا لا يستطيع أن يقترب ليسمع الكلمات الهامسة، فدائما الطريق الى اللغز محفوف بالخطر.

ـ هل أنت متأكد أن هناك شجرا كثيرا حول البيت القديم يا أستاذ؟ سألني طالب مبتسم دربته على فن الربط بين الأشياء وتبديل المواقع.

ـ هل أنت متأكد أن هناك امرأة مجنونة وكلابا وبيتا قديما يا أستاذ؟ سألني طالب آخر علمته فن التشكيك في كل الحكايات لأن لا شيء نهائي ومؤكد في هذا العالم. طلب الطلاب عنوان بيت المرأة العجوز. قلت لهم حين تعرفون تفاصيل الكلام الخافت ما بين الشجر والمرأة ستعرفون فورا عنوان البيت. قال ليث: ما دام بعض الطلاب وأنا منهم نعتقد انك ابتكرت حكاية البيت والكلاب والشجر والعجوز فلنقم نحن أيضا بابتكار كلام المرأة للشجر وكلام الشجر للمرأة. وافقت على الاقتراح دون أن أؤكد أو أنفي حقيقة الابتكار أو حقيقة الحكاية.

سعيد: المرأة للشجر: ضموني اليكن يا شجراتي، اشعر بالبرد والخوف، اشعر بالموت يقترب. الشجرات تتحرك وتغطي جسد المرأة البارد.

حسن: مدت المرأة العجوز يدها المتجعدة، ألصقتها في جذع الشجرة العالية، تحولت اليد الى غصن جديد، همست الشجرة: يا الهي ما أجمل أن تعود غصوني الي بعد فقدان سنوات طويلة!

علي: وضعت المرأة خدها على الأرض، تحول الوجه فورا الى جذع كبير وصلب، امتدت نحو الجذع غصون كثيرة كانت مقصوفة من شجر ميت كثير، أضيفت شجرة جديدة الى عشرات الشجر حول البيت القديم.

فتحي: قالت شجرة صغيرة للمرأة العجوز: لماذا أنت بعيدة عني يا أمي؟ اقتربي لأعيد لك شبابك وأعيدي لي توازني وروعتي.

أجابت المرأة: كم أود ذلك يا ابنتي لكن الكلاب تتربص بي.

سهيل: اقتربت المرأة العجوز المجنونة من شجرة عالية، وضعت على جذعها بنطالا ازرق. تحول الجذع الى خصر امرأة، وضعت المرأة العجوز على الغصون قميصا اسود فتحولت الأغصان الى يدي ونهدي امرأة.

هاشم: لم يكن ثمة شجرة ولا كلاب، ولا بيت قديم كان محض حلم، صحوت بعده، خائفا جدا وبحثت عن أمي وأنا ارتجف.

خلدون: هدمت جرافات البلدية البيت القديم واقتلعت الشجر، هربت الكلاب. ماتت المرأة، تحول المكان الى سوبرماركت كبير، لكن الجيران ما زالوا يسمعون صياح المرأة ونباح الكلاب.

هل عرفتم الآن سر المرأة «الشجرة» يا أصدقائي؟ سألت طلابي. أجاب الطلاب بصوت واحد: لم نعرف شيئا بعد يا أستاذ.

انتهت الحصة، انتهى اليوم الدراسي، انتهى العام الدراسي. تركت مهنة التعليم، مرت سنوات طويلة، نسيت حكاية البيت والشجرة والمرأة العجوز والكلاب، ولم اعد اذكر ان كانت من ابتكارات ذهني لتدريب الطلاب على تعلم التخيل والكتابة، أم كانت حكاية حقيقية، استخدمتها لأغراض تعليمية وتربوية. أنا الآن رجل مجنون بلا عمل، هكذا يقول عني الناس، لأنني ببساطة اعتقد أن الشجر نساء وأن النساء شجر، أتعرض دائما لضرب الناس وتعنيفهم حين يروونني المس عين امرأة معتقدا أنها ثمرة خوخ ناضجة للقطف، يا الهي أنا مجنون فعلا.

عدد جديد من «حصاد الفكر» يتناول أزمة دارفور ومشكلة فلسطين

القاهرة ـ «القدس العربي»

من أحمد القاعود:

كانت مشكلة دارفور هي ملف العدد لدورية «حصاد الفكر» والتي تقدم عروضا للكتب الصادرة حديثا، فبعد مقدمة للعدد بعنوان «أزمة دارفور، التداعيات وآفاق المستقبل» يعرض منتصر عفيفي لكتاب الدكتور زكي البحيري «مشكلة دارفور الجذور التاريخية والأبعاد الاجتماعية والتطورات السياسية» حيث يتناول في كتابه نشأة إقليم دارفور منذ عهد السلطنة إلى نهاية الحكم الثنائي والتشكيلة القبلية والجذور التاريخية والاجتماعية للنزاعات في دارفور ثم النشاط السكاني والامكانات الاقتصادية للإقليم، ثم دراسة تحليلية لأزمة دارفور الحالية وسر تفاقمها.

ثم يعرض علي الحاروني لكتاب «أسياد وانفصاليون» لمحمد محمدي حيث يقدم مؤلفه شهادة حول المأساة السودانية ويرصد فيه شبكة المصالح والنفوذ التي تحكم توجهات السياسة الغربية ورؤيتها للقضية.

وبعده يتم عرض كتاب حول أبعاد الصراع في دارفور لمؤلفيه الدكتورة إجلال رأفت وهاني رسلان حيث يبدأ القسم الأول من الكتاب بالبحث في أسباب الأزمة، وتطوراتها.

فأسباب المشكلة ترجع إلى اختلاف النمط الانتاجي بين السكان، والاختلاف العرقي وغياب الإدارة الأهلية وتسييس الأحداث من قبل القوى السياسية والتوازنات السياسية الاقليمية والتهميش الذي يعاني منه غرب السودان، ويناقش القسم الثاني من الكتاب مستقبل السودان، من خلال طرح سيناريوهات مستقبلية للوضع.

ويأتي الكتاب الرابع في ملف الأزمة السودانية عن جون جارانج ورؤيته للسودان، للدكتور الواثق كمير والذي يتناول قضايا السودان المتعلقة بالوحدة والتنوع، من خلال رؤية جون جارانج مؤسس الحركة الشعبية لتحرير السودان.

وفي باب السياسة والاقتصاد يعرض سمير الجبالي لكتاب عرب فلسطين وحقوق الإنسان للمحامي الفلسطيني ظافر بن خضراء فالكاتب يرى أن السلطة الوطنية شاركت سلطات الاحتلال في انتهاك حقوق الشعب الفلسطيني ويرصد ملامحها في بابين الأول مفهوم الديمقراطية وحقوق الإنسان، والثاني انتهاكات اسرائيل والسلطة الفلسطينية لحقوق الإنسان الفلسطيني. أما قسم التاريخ فيعرض لكتاب حسين إمام سيد والذي يتناول فيه قضية القدس من خلال تقديم دراسة تاريخية، كانت أطروحة للماجستير ويبحث فيها المؤلف عن دور بريطانيا في تهويد القدس، ورد الفعل العربي والعالمي، ويتناول التطورات التاريخية للصراع العربي الإسرائيلي في دراسته.

وبعد عدة عروض لكتب مختلفة، يتناول التقرير الدكتور نجيب الكيلاني رائد الأدب الإسلامي المعاصر حيث يقوم سعد خيري بعرض لحياة الأديب الراحل وأعماله وآراء بعض النقاد فيه.

ليلة شعر مع محمد بنيس

بيروت ـ «القدس العربي»

من ناظم السيد:

حلّ الشاعر المغربي محمد بنيس الأربعاء الفائت ضيفاً في حانة «جدل بيزنطي» في بيروت. أمسية شعرية كانت أشبه بالاحتفال في هذا المكان الصغير القريب الى شارع الحمراء ووسط أصدقاء ورواد يواظبون على ارتياد الحانة لسماع الشعر أو لقراءته. ولم تحل الأوضاع السياسية والاستنفار الأمني في العاصمة من تلبية الدعوة الى هذه الأمسية رغم أنها أقيمت في يوم استثنائي بعدما درجت العادة على اقامة هذه الأمسية ليلة كل جمعة من كل أسبوع. الشاعر المغرم بالنبيذ قرأ بعد تقديم نقدي وحميم من الشاعر شوقي بزيع، قرأ من أعماله الشعرية الكاملة التي صدرت في بيروت عن «المؤسسة العربية للدراسات والنشر»، وتحديداً من دواوين «نهر بين جنازتين»، «نبيذ» و«كتاب الحب». وقد قرأ في ثلاث مراحل تخللت كلاً منها استراحة.

حضر الأمسية السفير المغربي في لبنان والمفكر علي أومليل، والشعراء عباس بيضون، حسن عبدالله، عصام العبدالله، أحمد فرحات، جوزيف عيساوي، شبيب الأمين، ناظم السيد، غسان جواد، محمد الأمين، والروائي والناقد أحمد بزون، اضافة الى رنا ادريس ولينة كريدية، مديرتي «دار الآداب» و«دار النهضة العربية» التي يصدر عنها كتاب بنيس الأخير «هناك تبقى».

الجدير ذكره أن «جدل بيزنطي» التي تأسست قبل نحو سنتين، تواظب بشكل أسبوعي على اقامة أمسية شعرية. وقد قرأ في هذه الحانة أدونيس، شوقي أبي شقرا، قاسم حداد، وديع سعادة، محمد العبدالله، الياس لحود، عناية جابر، صباح الخراط زوين، علي مطر، علاء خالد، صموئيل شمعون، خالد المعالي، جرجس شكري، جمانة حداد، ياسين عدنان، فوزي يمين وعشرات الأسماء التي تمثل مختلف الأجيال الشعرية، اضافة الى عدد من الشعراء الأجانب وبعض الروائيين.